كليات التربية والابداع : رؤية مستقبلية

د٠ ضياء الدين زاهر (*)

أولا : اقترابات أساسية :

(أ) مدخل : الابداع التربوى مشروع وجود لايتحقق انجازه الا مـــن خلال علاقة ديالكيتكية بين الابداع والتربية ٠ وبدهى أن هذه العلاقة تنمو وسط سياق مجتمعى حضارى معين يؤثر فيها وتؤثر فيه ٠

واذا كان الأمر كذلك ، فانه يصبح من مهمة كليات التربية تفهم الأطر المرجعية لتنمية الابداع وأثرائها ، ولكن المشاهد أن دور كليات التربية فى هذا الصدد لايتمتع بالتقدير المحمود من جانب التربويين والتنمويين على حد سواء ، وحوله جدل خفى ، واسع الانتشار ، ليس كله مريحا ٠ والمنطقى أن تكثر الشكوك والهواجس فى غيبة التفكير النقدى والاختبار الامبيريقى لهذه العلاقة ، وأن يعتريها الغموض مع كونها واضحة ٠ ومن هنا فان أى مناقشة للدور المستقبلى لكليات التربية فى تنمية الابداع لايمكن أن تكـــون مجدية بدون أن نوضح أولا ماذا نقصد بالابداع ، وأى ابداع نريد فى كليات التربية ، وما واقع الابداع فى كليات التربية ، وأخيرا ، ما السيناريوهات المحتملة والممكنة لحركة الابداع داخل كليات التربية ٠

(ب) فى معنى الابداع : تكشف لنا أية مراجعة دقيقة لأدبيات الابداع عن وجود تشتت كبير فى تحديد مفهوم «الابداع» وعدم اتفاق على تعريفه ٠ فعلى الرغم من كثرة تداول وتعاطى المفهوم بين المختصين والعامة الا أنه مازال يعطى معانى شتى ، ومازال يحيط به الغموض ، ويكتسيه الوضوح الزائف ٠ على أننا نجد أن معالجات الخطابات العلمية المختلفة لهذا المفهوم، سيكولوجية أو فلسفية أو تربوية أو علمية تكنولوجية أو غيرها ، تتذبذب بين معنيين أولاهما ، معنى **واسع يأخذ بالتعريف بالنقيض** ، فالابداع يصـــبح نقيض «الاتباع» ، أو نقيض «الثابت» ، أو نقيض «التقليد أو المحاكاة أو

(*) أستاذ أصول التربية ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ٠

المسايرة (١) · وثانيهما يرى الأبداع **وفق معنى ضيق لايحتمل سوى واحدة من الفئات** الأربع التالية (٢) :

ـ العملية الابداعية ، أو الكيفية التى بها يبدع المبدع عمله ·
ـ الانتاج الابداعى ·
ـ السمات الشخصية للمبدعين ·
ـ الامكانية الابداعية كما تتكشف من خلال الأداء على اختبـــارات قياس القدرات الابداعية ·

وقد يضيف البعض (٣) فئة خامسة هى العوامل والظروف البيئية التى تساعد على نمو الابداع وهى مايطلق عليها «بالبيئة المبدعة» ·

وبدهى أننا نوافق على المعنيين العام والخاص ، الا أننا نجد أن ثمة طريقا ثالثا للتعريف يستطيع أن يستوعبهما معا دون مصادرة لأى منهما مع قدرته على تجاوزهما · وهذا التعريف الذى نقترحه هو أن الابداع «منظومة مفتوحة تنطوى على عنصر أو عناصر بشرية تمتلك قدرات عقلية متميـــزة ودافعة للانجاز تتفاعل مع تشكيلة أخرى من الموارد البشرية وغير البشرية وفق شروط خاصة وصولا الى منتجات مغايرة لما هو شائع وتتميز بالأصالة والجـــدة » ·

وبدهى أن مثل هذه المنظومة يمكن أن تقتصر على عدد قليل من المبدعين (النخبة) كما أنها يمكن أن تمتد لتشمل قطاعا عريضا من الجماهير ، علـــى

---

(١) أنظر نماذج لهذا المعنى العام فى :
ـ أدونيس (على أحمد سعيد) : الثابت والمتحول : بحث فى الاتباع والابداع عن العرب : الجزء الثالث : صدمة الحداثة (بيروت : دار العودة ، ١٩٧٨)·
ـ حليم بركات : المجتمع العربى المعاصر : بحث استطلاعى اجتماعى ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٤) ، صص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ·

(٢) محى الدين أحمد حسين : القيم الخاصة لدى المبدعين ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١) ، صص ٨٠ ـ ٨٥ ·

(٣) حسين عبد العزيز الدرينى : الابـداع وتنميته ، فى مراد وهبه (محرر) ، الابداع والتعليم العام ، (القاهرة : المركز القومى للبحـــوث التربوية والتنمية ، ١٩٩١) صص ٦١ ـ ٦٣ ·

أن هذا مرهون أساسا بالانتقال من مستوى معين للابداع ، الى مستوى أعلى، لذا فيمكننا ، منعا للخلط أن نتصور الابداع فى مستويات ثلاث :

١ - **مستوى الابداع الفردى - السيكولوجى (أو المنطقى)** : وهو مانعتبره المستوى الأول للابداع أو قاعدة الأساس ، ويبدأ فى المراحل الأولى من العمر ، وفيه يحاول المبدع سد الفجوة القائمة بين ما هو معروف فعلا وبين المجهول (حتى الآن) عن طريق التعبير المستقل أو الانطلاق الفكرى والخيالى المجاوز ، كرسوم الأطفال أو محاولات الطلاب لحلول غير مطروقة لمسائل أو مشكلات ما · وهو مايعتبر بمثابة منبىء أو مؤشر لابداع لاحق حقيقى ·

٢ - مستوى الابداع الناقد : وهو خطوة متقدمة عما سبقه ، فهو يقوم على تفكير يجاوز التعبير الحر ينتقد وينقض أسس النظم القائمة للأشياء ، ويسوق حججا مضادة تستند الى المنطق فى رفضها · وهذا المستوى ليس أكثر من جسر يمهد الطريق نحو ابداع أكثر نضجا وتميزا وأصالة ·

٣ - **مستوى الابداع الخلاق (أو العبقرى)** : وهو أعلى مستويات الابداع وأكثرها نضجا وأصالة فهو لايتوقف عند مجرد تجميع ورفض النظم القائمة ، بل يسعى للانطلاق منها (أو من النظم البديلة التى يتصورها المنطق فى المستقبل) ، فيتبع سبيلا لم يطرقه أحد من قبل · ويتخذ بداية جذرية تختلف عن الحاضر وعن كل مايتوقعه الناس ، ويزدحم تاريخ العلوم الطبيعية وتاريخ الحضارة بنماذج من هذا المستوى ، فنظرية الكارثة ، والأشعة السينية وطبيعة الضوء ، والرسم التجريدى ، ومسرح اللامعقول ، ليست مجرد نتائج منطقية أو تطورات حتمية لآراء سابقة ، بل هى بدايات جديدة صريحة تنتج بطريقة تلقائية أفكارا وتقويمات تشكل انطلاقا أساسا من أى أمر كان معروفا من قبل ·

وبدهى أننا عندما نتحدث عن الابداع فى كليات التربية فاننا نقصد المستويين الأول والثانى ونتمنى أن نشهد أحد يطال المستوى الثالث · فأقصى مانطمح اليه هو تنشيط الابداع وتنميته فى وديان للابداع هى كليات التربية·

(ج) أى كليات تربية نريد : تنمية وابداعا ؟ الاجابة تتوقف بالقطع

على مدى عزم المجتمع على التصدى لظاهر تخلفه ، أى تتوقف على نـــوع الأهداف الصريحة والضمنية للتنمية المجتمعية ، ومدى سعيها – أو عدم سعيها ، لتفجير طاقات الابداع لدى الجماهير وحتى أصبحت التنمية علمية تحرر ابداعى ونهضة حضارية ، قوامها تعبئة الطاقات الذاتية ، وتعظيمها وتوجيهها لغرض الانعتاق من شبكة علاقات السيطرة والتبعية التى تحكم النظام الاقتصادى الدولى القائم من ناحية ، واشباع الحاجات الأساسية ، المادية والمعنوية ، لجماهير الشعب ، كأولوية أولى ، مع رفع مستوى رفاهية المجتمع – كل المجتمع باطراد – من ناحية أخرى ، فان عملية الابداع تصبح فى الصدارة · وتصبح التنمية التربوية الشاملة محورا أساسيا من محاور الابداع ·· الابداع على محور الانسان ومن أجله ، من خلال التنوير الشامل لكل النظم والتشكلات التربوية والتعليمية بما يسمح بمزج التربية فى التنمية وفى الحياة ، وبما يؤدى الى اشباع الحاجات – الأساسية المادية والمعنوية للانسان وبما يحرره من كل القيود التى تقهره وتستغله ·

وفى هذا السياق يصبح دور كليات التربية السعى نحو تحقيق التنمية التربوية فى المجتمع واضعة كل امكاناتها فى خدمة هذه القضية ، وفى خدمة تكوين المعلم المتلك لمهارات التفكير العلمى والتحليلى والنقدى والأبداعى، والقادر على التكيف والقادر على ممارسة السلوك الديمقراطى · فلم يعد دور كليات التربية قاصرا على مهام تقليدية كاعداد المعلم ونقل التراث العلمـــى التربوى ، بل تجاوز دورها ذلك بكثير لتشمل مهام أعظم وأشمل ، مهـــام ترتفع بها من مجرد مراكز تقليدية لتخريج المعلمين الى مراكز حضارية لبناء الكوادر البشرية والادارية والفنية المتخصصة لتلبية خطط التنمية التربوية، ومراكز بحثية متطورة تخطط للمستقبل تخطيطا علميا وتسهم اسهاما فعالا فى التحولات المجتمعية وتستوعب احتياجات مجتمعها استيعابا واعيا ·

تأسيسا على ماسبق فان دور كليات التربية يمكن حصره فى المهمات الثلاث الرئيسية التالية :

– **اعداد وتدريب وتأهيل واعادة تأهيل الكوادر البشرية ، التعليمية** والادارية والفنية المتخصصة ، اللازمة للتنمية التربوية · وذلك وفق تصورات وأساليب وتخصصات غير تقليدية وبرامج مثيرة للابداع ·

– **تطوير وتحديث النظم والأساليب التربوية :** عـــن طريق تقـــديم

الاستشارات لمختلف المؤسسات التربوية بهدف تذليل العقبات وحل المشكلات (سواء لنظم التعليم النظامى أو لمؤسسات تعليم الكبار) ٠

ـ **توعية البيئه الاجتماعية والتأثير الفعال فيها** ، وذلك بتوثيق علاقاتها مع هذه البيئة ، والتعريف بانجازاتها وأساليبها ونظرياتها الجديدة عبر التسويق الاعلامى الثقافى ، بما يخدم حركة التربية والتعليم والثقافة فى المجتمع ، واذا تحقق هذا الدور المركب المبدع ، نكون قد استطعنا أن **نجعل كليات التربية «وديان للابداع»** ولكن لنتساءل بحق :

هل تباشر كليات التربية هذا الدور المبدع ؟ واذا كان الأمر غير ذلك فلماذا ؟ تلك قضية الجزء التالى :

ثانيا : واقع الابداع فى كليات التربية : نمر من ورق :

ان رؤية صادقة لكليات التربية لاتتم الا من خلال النظر اليها كمنظومة system فالنظر الى كليات التربية نظرة نظامية تحليلية يمكن أن يوضح لنا مدى الحاجة الشديدة لهذه الكليات الى التطوير والتجديد والأبداع ٠

وعموما اذا اتفقنا على أن المنظومة ، فى أبسط تحديد لها ، هى كيان فكرى أو مادى مكون من مجموعة من الموارد البشرية وغير البشرية المتداخلة والمتفاعلة فيما بينها وفقا لقواعد معينة ، لتحقيق وظيفة أو وظائف مفيدة تتصل بطبيعة هذه الموارد ، وهى بالتالى تضم ، بصفة عامة (*) ، مكونات ثلاثة هى : مدخلات Inputs وعمليات Processes ومخرجات Outputs وكلية التربية تعتبر بهذا المعنى منظومة متكاملة لها مدخلات البشرية وغير البشرية والآليات والقوانين التى تحول هذه المدخلات أو الموارد الى مخرجات تذهب الى سوق العمل ٠

ويمكن حصر أهم **مدخلات** منظومة كليات التربية فى النظم الفرعية التالية والتى يوضحها الشكل رقم (٢) ٠

(*) التصنيف الدقيق للمنظومة يأخذها على أنها مكونة من خمسة مكونات أساسية هى المدخلات والعمليات والنواتج Outcomes ، والمخرجات ، وعائدات ٠

(أ) مدخلات بشرية : وهى تمثل العمود الفقرى للمنظومة ، اذ أنها تتضمن كل الموارد البشرية فى كليات التربية ، وفى مقدمتها ، **الطلاب** وهم بمثابة المادة الخام للكلية والمخرج الرئيسى لمنظومتها فى ذات الوقت · وهم عادة من مخرجات نظم تعليمية سابقة (ثانوية) ويخضعون لمعايير قبول واختيار محددة وهى فى الغالب مجموع درجاتهم فى الثانوية العامة وهى فى الأغلب من متوسطى الذكاء أو دونه · وهناك أيضا **أعضاء هيئات التدريس ومعاونوهم** من المعيدين والمدرسين المساعدين ، أو اداريون وهم جميعا بمثابة الطاقة البشرية لتشغيل باقى النظم الفرعية المعاونة ، بالاضافة الى العاملين فى الخدمات المعاونة · وتتمتع هذه الطاقة البشرية بعلم وخبرات واسعة تضمن تشغيل المنظومة بكفاءة · ولكن ليس الأمر كذلك فى جميع الأحوال حيث قد تفتقر هذه الطاقة الى كفايات معينة تؤثر على أدائها الأكاديمى أو الادارى أو الاتصالى مع الطلاب ·

(ب) مدخلات اقتصادية : وتتضمن المخصصات المالية للكلية ، سواء تلك اللازمة للانفاق على البرامج بالكلية ذاتها (رواتب ولوازم للكلية ··· الخ) أو اللازمة لتزويد منظومة الكلية بالقوة الشرائية الضرورية للحصول على الأبنية والقاعات والمختبرات وكافة تجهيزاتها الفيزيقية والتكنولوجية · وهذه المخصصات تواجه قيودا كثيرة مما يؤثر بالضرورة على مسارات الأداء والأنجاز فى المنظومة ·

(ج) مدخلات سياسية وادارية : وتتمثل فى سياسات واستراتيجيات الكلية ، والتى يقف وراءها أهداف وحاجات مجتمعية ومطالب نمو المتعلمين ، والتى يستهدى بها العاملون فى الكلية · وهناك أيضا رجال الادارة العليا المختصون بادارة الكلية كالعميد ووكلاء الكلية ورؤساء الأقسام والمراكز ، ويتوقع أن تكون هذه الكوادر الادارية واعية بمهامها وممتلكة لمؤهلات قيادية وأكاديمية وتربوية عالية ، تقوم بتوجيه المنظومة والأشراف عليها بفاعلية والتنسيق بين نظمها المتنوعة والتخطيط لها وتقويمها · على أن المشاهد أن بعضا من هذه الخصائص لايتوفر لبعض القيادات الادارية الأكاديمية بما يضر بمسيرة المنظومة ويعرقل دورها فى تحقيق رسالتها المبتغاة ·

(د) مدخلات ثقافية : وتتضمن الأهداف التربوية العامة الخاصة

المشتقة من فلسفة المجتمع والتى تعبر عن فلسفة التعليم الجامعى الذى تنتمى اليه ، كما تتضمن ترجمة لمواصفات المجتمع وقيمه وطموحاته فى محتوى التعلم المطروح داخل كل قسم من أقسام الكلية والذى يتبدى فى المـــواد والمقررات الدراسية ، والأنشطة التربوية المصاحبة للمحتوى ، والأساليب والتقنيات المتبعة فى التدريس وفى التقويم ٠

(ه) مدخلات معلوماتية : وتتصل بكافة المعلومات والبيانات والحقائق عن مكونات المنظومة وبيئتها التعليمية والمجتمعية ، ومايتصل بهـــا مـــن لوائح وتشريعات وقوانين تحدد المسئوليات ونظم العمل ، وكل ما يعين فى قرارات فعالة بشأن المنظومة ، كما أنها تستخدم لتحديد أساليب المتابعـــة والتقويم والرقابة على المنظومة ٠

أما عمليات وآليات المنظومة ، فهى تنطوى على تفاعلات مطردة بيـن المدخلات بأنواعها المختلفة (داخل كل قسم علمى) بغية تحويلها الى مخرجات٠ وفى حالة المنظومات الكبرى مثل كلية التربية يصعب دراسة كل التفاعلات والأنشطة التفصيلية لذا نلجأ الى مفهوم الصندوق الأسود Black Box الذى أمدنا به علم السيبرناطيقا ليفسر لنـا هذه التفاعلات والعلاقة بيـن المدخلات والمخرجات ٠ ولكن بصورة عامة يمكن القول بأن التفاعلات تتم بين مكونات المنظومة الفرعية للمناهج وتضم الأهداف التدريسية والمحتوى والمتعلم وطرق التدريس وأنشطة التعلم وأساليب التقويم) فيما بينها وبين باقى المدخلات للمنظومة الرئيسية (بشرية وسياسية وادارية واقتصادية وثقافية ومعلوماتية) ٠

ويتم هذا فى مكان ما (قاعات التعلم من معامل أو مدرجات أو غيرها) وفى زمان معين (هو العالم الأكاديمى الممتد) ، ووفق قواعد وضوابط أكاديمية وقانونية محددة ، وفى اطار مناخ اجتماعى معين مستمد من الواقع الاجتماعى والأكاديمى ، ويتولى قيادة هذه التفاعلات عضو هيئة التدريس بخبراتـــه ونضجه وعلمه ، وعلى نحو يسهم فى تحقيق أهداف المنظومة وبشكل ينعكس فيما بعد على المخرجات سلبا أو ايجابا ٠

فى حين أن **مخرجات المنظومة** تتمثل فى ثلاثة فئات أولاها ، **مخرجات انتاجية** ، وتتمثل هنا فى كافة النتائج الملموسة للمنظومة وفى مقدمتهـــا

اكتساب الطالب المتعلم للخبرات المخطط لها من قبل (من قبيل زيادة المعلومات والخبرة ، اكتساب مهارات جديدة ، تعديل سلوك ، علاقات واتجاهات جديدة، حل مشكلات ٠٠ الخ)، كذلك حدوث نمو مهنى بالنسبة لأعضاء هيئـــات التدريس ، ومعاونوهم ، وظهور نتائج بحوث ودراسات ٠ كذلك فى النواتج والعائدات غير المباشرة المؤثرة على الاقتصاد والثقافة والقيم فى المجتمع٠ **وثانيها ، مخرجات وجدانية** ، وتتمثل فى الأثر غير المحسوس لعمل المنظومة، وقد يتمثل فى ردود الأفعال والأنطباعات الايجابية أو السلبية ، بشأن المخرجات الانتاجية والعمليات ٠ **وثالثها ، التغذية الراجعة** التى تتعلق ببنية المنظومة وعملياتها ومخرجاتها فى علاقاتها بالسياقات التربوية والمجتمعية لهـــا وكيفية تأثرها بها وتأثيرها فيها ٠ وهذه التغذية بأشكالها المختلفة (المستمرة والمرجأة ، السلبية والايجابية ، الداعمة أو المتحدية ٠٠٠ الخ) تعمل بمثابة تقويم كلى لعمل المنظومة ومتابعة لها ٠

وبدهى أن منظومة كلية التربية ، كأى منظومة مفتوحة أخرى ، تتبادل المدخلات والطاقة مع **البيئة الاجتماعية** التى تحيط بها ، (سواء كانت قريبـة أو بعيدة) ، كالمناخ الذى تعمل فيه والذى تحكمه القوانين والسياســـات العامة والمناخ النفسى والسياسى وأمزجة الناس واتجاهاتهم والبرامج الأخرى والموارد المالية ٠٠ الخ ٠ ولعل هذا التبادل يتطلب عن الادارة الواعية لمنظومة الكلية أن توثق علاقاتها وتزيد وعيها ببيئتها وبالقوى الدينامية التى توجد بها ٠

ولكن المتأمل لطبيعة الدور الذى تمارسه حاليا منظومات كليات التربية يكتشف تدهورا خطيرا فى ممارستها لرسالتها الابداعية ٠ فهذه الممارسـة تكتسى ظلالا كثيفة من الغموض والفوضى ، كما تتسم بالهامشية ، والجزئية، ولعل الشواهد التالية تؤكد ذلك :

- تكريس كليات التربية جل أهدافها فى برامج تقليدية ، فكرا ومضمونا وأساليبا ، وتقويما ، لاعداد المعلم دون ايلاء باقى الأهداف التنموية الابداعية الأخرى أعتبارا يتناسب مع أهميتها القصوى ٠ كما أن الاعداد التربوى للمعلم فى صورته الحالية غير قادر على خلق كفاءة مهنية فعالة ومبدعة يمكنها أن تنهض بالأدوار الوظيفية التى تتطلبها مدارسنا ٠

- تغليب المسائل الفنية فى المناهج الأكاديمية على الخطاب الاجتماعى، الى جانب استخدام أهداف ومناهج مستترة Hidden Curriculum تتمثل فى طرق تدريس ، وأساليب تقويم ، ومقررات دراسية تعمل على قتل ملكة النقد لديه من خلال رفض أسلوب الحوار ، والاعتماد على التلقين لغرض ثقافة الذاكرة التى تعطل الطاقات الابداعية ، وتفصل المتعلم عن بيئته ، وتجزىء المعرفة ، وتفصلها عن واقعها وعن الحياة العملية ، كما أنها تتجاهل تزويد المعلم الطالب بالمهارات والقيم التى تمكنهم من مواجهة الحياة وتدعيم التنمية المجتمعية · ويقود هذا كله الطالب المعلم الى الاغتراب عن ذاته وعن مجتمعه وعالمه وحرمانه من الحرية والحيلولة بينه وبين ممارستها (١)·

- هامشية دور الكلية فى مشاركة وزارة التربية والتعليم فى رسم السياسات والاستراتيجيات التعليمية ، وفى فحص الواقع التعليمى · مع ضآلة حجم البحوث الميدانية وبحوث الفعل Action Research التى تتصدى لمشكلات حقيقية وتتبنى بدائل مختارة للتغلب عليها ، فى مقابل زيادة لا لزوم لها فى حجم البحوث والدراسات النظرية والتنظيرية فى العلم الأكاديمى التربوى ·

- انعزالية أقسام الكلية الواحدة عن بعضها وتبدو وكأنها جزر منعزلة فى بحر متلاطم الأمواج ، فهناك غياب التعاون العلمى بين الأقسام العلمية ، وهناك استغراق فى عداءات وصراعات وهمية مستمرة بشكل يعكس الصراع بين الثقافتين (العلمية والانسانية الاجتماعية) ، مما يؤثر على الدور الابداعى لكليات التربية ومكانتها المجتمعية ·

- المغالاة فى التركيز على الجوانب النظرية لمناهج اعداد المعلم وعلى حساب الجوانب العملية والتطبيقية وهذا راجع أساسا الى غياب الاتصال الحى بين هيئات التدريس وواقع العملية التعليمية وهو ما ينم عن غياب الوعى الكافى لدى بعض هؤلاء الأساتذة بدور كلياتهم فى تفهم وخدمة قضايا البيئة والمجتمع ·

---

(١) أنظر ضياء الدين زاهر : التخطيط الشبكى لبعد الكيف فى النظم التعليمية، تطوير المناهج كنموذج ، مجلة التربية الجديدة - اليونسكو - العدد (٤٤) ص · (دراسات تربوية)

- ضعف العلاقات المباشرة بين أعضاء هيئات التدريس وطلابهم بشكل واضح ، وهى العلاقات التى يمكن أن تكون عاملا ميسرا لمناخ الابداع أو معوقا له ، الى جانب غياب مشاركات أعضاء هيئات التدريس فى أنشطة الطلاب وعدم المشاركة فى التخطيط لمثل هذه الأنشطة ٠

- ضعف مستوى الخريج ، وندرة ملاحقته فى ميدان عمله كما هو الحال فى الكثير من المهن المتقدمة ٠

- تمركز طرق تدريس أعضاء هيئات التدريس على أساليب تقليدية املائية لاتعطى للطالب المعلم نموذجا - يحتذى به فى أداء التدريس ، مع اعتماد قطاع غير قليل من هيئات التدريس على مذكرة أو كتاب واحد فى التدريس مما يعرقل النمو المعرفى والابداعى للطالب المعلم ٠ لاسيما وأن معظم المحتوى العلمى الوارد فى هذه المذكرات أو الكتب منقول أو مترجم عن بيئات أجنبية التى تعمق التبعية الثقافية وليست هناك كتابات عربية أصيلة أو ناقدة تحليلية الا فيما ندر ٠

- ضعف مصادر تمويل الأنشطة البحثية ، مع ضعف القدرة الابداعية على استنباط بدائل جديدة ٠

- كثرة القيود التنظيمية التى تحد من أية مبادرات أو مغامرات فكرية جريئة لرؤية المشكلات من منظور مخالف ٠

ولعل هذا كله يقودنا الى التأكيد على أن تنمية الابداع فى حاجة ملحة لكليات التربية ومستقبل هذه الكليات رهن بهذا التحول الهام والضرورى ٠ ولعل الجزء التالى يوضح ذلك بجلاء ٠

ثالثا : سيناريوهات كيفية لمستقبل الابداع فى كليات التربية :

اتساقا مع ما عرضناه من قبل فانه يمكن صياغة ثلاث سيناريوهات عن كيفية تصور مستقبل الابداع فى كليات التربية فى علاقتها بالتنمية التربوية فى المجتمع وبحركية العلاقات بين التعليم والمجتمع ككل ، وبينه وبين المستجدات الاقليمية والعالمية ٠

وهذه السيناريوهات لاتمثل جميع البدائل المحتملة والممكنة ، وانما

تمثل فقط نقاطا حاسمة فى الأولى منها ، يقوم سيناريو اتجاهى (تشاؤمى) وهو نهاية خط متصل فى نهايته الأخرى سيناريو تحولى (تفاؤلى) ، وفى المنتصف يقوم سيناريو ثالث يبتعد عن التشاؤم ولكنه لايلبى كافة الطموحات الابداعية (التفاؤلى) ٠

وبدهى أن ثمة تداخلات ممكنة ، ظاهرة وخفية ، بين السيناريوهات الثلاث ، وأن امتناع التفاعل بينهما غير وارد بالمرة ، فكل سيناريو ينطوى على مشهد أو مشاهد من سيناريوهات أخرى ٠ لذا فان النظر الى هـــذه السيناريوهات لابد أن يأخذ فى اعتباره هذا الجانب المهم ٠ لذا ، فقد قادنا ذلك الى التقدم بسيناريو ممكن التحقيق ، وهو حالة وسط بين السيناريو الاصلاحى والتحولى ، فهو أكبر من أن يكون ذو طابع اصلاحى فقط وأقل من أن يكون ابداعيا بشكل كامل (تحولى) ٠

وفيما يلى عرض لأهم الملامح الرئيسية لكلسيناريو من تلكالسيناريوهات

(أ) السيناريو الاتجاهى :

يستند هذا السيناريو الى فرضيات أساسية فحواها أن كليات التربية سوف تستمر فى نموها وتطورها بنفس المعدلات الماضية مع امكانية احداث تعديلات أو تحسينات هامشية ، وأن مثل هذه الحركة الامتدادية الخطية تتوافق مع حركة التنمية التربوية فى المجتمع التى ستظل غير قادرة ، علميا وعقلانيا وانسانيا ، على اعداد المواطن والمجتمع القادرين على مواجهة التحديـــات المجتمعية والحضارية ٠

ومن جهة أخرى فان المجتمع سيظل غير مؤمن وغير متحمس لمهنـــة التعليم ، وغير قادر على توفير الاحتياجات الأساسية لتطويرها ، مما يؤدى الى تردى المكانة الاجتماعية للمعلم ، والى تراجع مستمر فى المكانة والفاعلية السياسية لنقابة المعلمين مجتمعيا ٠ وبالتالى يصبح التعليم مشكلة تخلف فى مجتمع متخلف ٠

تأسيسا على ماسبق ، فان **أهداف كليات التربية** ستظل متوجهة غالبا الى الصغار فى النظام التعليمى (قبل العالى) دون التفات حقيقى لتعليم الكبار فى التعليم النظامى أو غير النظامى ، مما يجعل برامجها متمحورة حول اعداد

أو تدريب المعلم بشكل تقليدى ، مفهوما وتصورا وأسلوبا وتخصصا · وتخدم هذه البرامج **منظومة مناهج تقليدية** ، تحركها أهداف وأساليب مستترة تتمثل فى طرق تدريس وأساليب تقويم ومقررات دراسية مستترة أيضا ، تعمل على تجاهل عقلية المتعلم وتملأ رأسه بمعلومات يخزنها دون وعى من خلال تعليم بنكى تلقينى ، على حد تعبير فرايرى ، يعمل على أقلمة الطالب المعلم مع ظروف القهر والسيطرة والاستغلال ، وقتل ملكة النقد لديه من خلال رفض أسلوب الحوار والاعتماد على التقلين والتدخين بغية سيادة ثقافة الصمت ، وغرس ثقافة الذاكرة التى تعطل الطاقات الابداعية ، وتفصل المتعلم عن بيئته، وتجزىء المعرفة وتفصلها عن واقعها وعن الحياة العملية ، كما أنها تتجاهل تزويد المتعلمين بالمهارات والقيم التى تمكنهم من مواجهة الحياة وتدعيم التنمية المجتمعية · كما أن هذه المناهج تعتمد فى تقويم عائدها على أساليب تقويم بدائية أهمها الامتحانات وأخطرها اختبارات التحصيل الأكاديمية المقننة التى تنبى على أدوات فقيرة وافتراضات قابلة للجدل ، وبيانات مفسرة تفسيرا غير دقيق ، ناهيك عن تغافلها للكثير من النشاطات الأكاديمية الهامة للطالب ـ المعلم ، مما يؤدى الى تلاشى مزايا استخدامها كمؤشرات لأداء الطلاب والكلية معا · هذا الى جانب حرص هذه المناهج على استمرار الازداجية الثقافية الشهيرة المعروفة بالأصالة والمعاصرة ، حيث تتذبذب هذه المناهج بين مغالاة فى تمجيد كل ماهو غربى وتقليده تقليدا شائها ، وما بين انحياز كلى للتراث والثقافة العربية على حساب حضارة العصر مع تقديم التراث على نحو لايستثير العقل ولايمجد النقد بل يبالغ فى عزل التراث عن الواقع المعاش · كل هذا يقود الى اغتراب الطالب المعلم عن واقعه المتخلف ، خاصة وان هذا الطالب لن يتم انتقاؤه من بين الطلاب المتميزين ، بل أنه طالب عادى لايمتلك مهارات التفاضل والتكامل بين مثل هذه الازدواجيات ·

أما البحوث العلمية التربوية فستظل أسيرة معالجات تقليدية لموضوعات وممارسات أكثر تقليدية لاتحسن ولاتطور الواقع التربوى فى شىء ، ولاتضيف الى الأدبيات العلمية شيئا · وستظل القلة من البحاث تنفق وقتها وجهدها فى دراسة عدد من قضايا التعليم أو المناهج الدراسية أو تخطيطها من خلال أساليب ونماذج رياضية ومنطقية ساذجة ومعقدة أحيانا ، أو مستخدمة القشرة الخارجية لمصطلحات أو مناهج علمية متقدمة ، مع سحبها من سياقاتها الصحيحة · وبشكل عام ستظل هذه البحوث التى يقوم بها أساتذة

كليات التربية بمفردهم أو مع زملاءهم فى الوزارة أو مراكز البحوث التربوية، عقيمة تفتقر الى التخطيط والتنسيق ، كما تعوزها الأصالة والفاعلية الكفيلة بتطوير الواقع التعليمى ، وبالتالى فان بحوث ومساهمات كليات التربية تظل عاجزة ، منهجيا وفعليا ، عن فحص السياسات والممارسات التعليمية والتربوية ، مستقلة أو بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم · وبالتالى تخضع كافة هذه المساهمات من جانب كليات التربية لوزارة التربية والتعليم للتحفظ الشديد بل للشك حول صيغها وأساليبها بل ومحتواها ، لأنها مساهمات أما غير مجدية أو من برج عاجى ·

كما ستظل **ادارات الكليات والأقسام** منتظمة فى مجرد تسيير الأمور والأعمال الادارية والأكاديمية دون وعى بمسئولياتها القيادية ، ووفق نمط يتسم بالسلطوية المفرطة البعيدة عن المرونة والحكمة ، وستظل عاجزة عن بعث روح الانتماء والتفانى لدى العاملين بالكلية والأقسام من أكاديميين واداريين · لذا فسوف تنقطع سبل الشورة الأكاديمية داخل الكليات وتتدهور المبادرات والمشاركات فى ظل أرهاب سلطوى ممتد من ادارة الكلية الى رئاسة الأقسام ، وستعطل نصوص فى القانون لمصالح شخصية وتنفذ نصوص أخرى لنفس السبب ولتحجيم ما يمكن اعتبارهم مشاغبين · وستظل علاقات الادارة العليا للكليات بأقسامها قائمة على هرمية بيروقراطية ضيقة لاتنمى الابداع ولاتحى المبادرات · وسيظل عنصر السن عنصرا حاكما فى قيادة الكليات ، لذا تظل الجيرونطرقراطية العلمية Gerontocracy أى حكم الشيوخ ، متحكمة فى مقصورة القيادة وتشتد ، وتتعطل المشاركات الشبابية المبدعة ، ويظل انتقاء القيادات المؤثرة رهنا بما تقدمه هذه القيادات من خدمات للادارة أكثر منه أهليتها الفكرية والأبداعية ، وهذا كله سيجعل المركزية المتطرفة هى الهاجس الأساسى للادارة العليا فى الكليات حيث تضع بين أصابعها جل ـ ان لم يكن كل ـ الصلاحيات والمسئوليات الكفيلة بالسيطرة على كلياتها وأقسامها · لذا ، فان مثل هذه الأدارات على مستوى الكليات أو الأقسام ، لن يكون مصدر الهام للمرؤوسين أو مفجرين لطاقاتهم الابداعية، بل سيظلوا مفتقرين الى الممارسة القيمية التى تحيل الرئاسة قيادة مبدعة مستنيرة ترعى الصغير وتقدر الكبير ، وتحفز الهمم ، وترفع الانتاجية ، وتتجاوز النصوص الى روحها ·

(ب) السيناريو الاصلاحى :

يقوم هذا السيناريو على افتراض قيام محاولات حادة لوقف التخلف والتردى المجتمعى والقومى ، وتحقيق الصمود ، وتحسين الأداء والقدرات المجتمعية ، ومواجهة رشيدة للتطورات التكنولوجية والمستجدات الاقليمية والعالمية وتحدياتها · وفى هذه الحدود ، فان المجتمع سيتحمس بدرجة أكبر من ذى قبل لمهنة التعليم ، ويسعى للمشاركة الفعالة فى توفير احتياجاتها الأساسية ، وتتحسن مكانة المعلم اجتماعيا نسبيا ، وتتحسن مكانة نقابات المعلمين سياسيا واستراتيجيا · وبذا يتحول التعليم من مجرد مشكلة للتخلف الى وسيلة لحل مشكلة التخلف ·

وعندما نتأمل ما قد يحدث من تداعيات على كليات التربية نجد أن أهدافها سوف تتسع أكثر وتستوعب مجالات أرحب وتنتقل من البيداجوجيا (تعليم الصغار) الى الاندراجوجيا (تعليم الكبار) ، وتتعاطف مع التعليم العالى والجامعى بنفس حماسها للتعليم ما قبل الجامعى · وتتسع أجندة أهدافها أيضا لتتجاوز اعداد المعلم بالتصورات والأساليب التقليدية الى اعداده لمجتمع المستقبل بأفكاره واحتياجاته وطموحاته · كما تكتسى هذه الأهداف أبعادا انسانية وتنموية رحبة وان كانت تتجه مسلكا تجويديا فى عمومياتها أكثر منه ثوريا ، فسوف تتعمق الممارسات الديمقراطية داخل هذه الكليات لتنمية القيم والسلوكيات الديمقراطية لدى الطالب المعلم الذى ينقلها بدوره الى طلابه فى المدارس ، كما سوف تقوم الكليات بنشر تجارب التجديد والاصلاح التربوى فى ضوء انحسار ملحوظ لعزلة التعليم وانغماس تدريجى له فى سياقاته المجتمعية ·

كما أن المناهج الأكاديمية التى تخدم هذه الأهداف المتنوعة ستتطور نوعيا عما هو سائد فى السيناريو الاتجاهى ، حيث يعاد النظر فى مفهوم المناهج ليتسع ليشمل شبكة العلاقات التى تتصل بكل من المضمون والتدريس والمتعلم وتقويم المتعلم وتضم كذلك أهداف التعليم والتعلم · وهذه الشبكة سوف تتبنى سياسات واضحة واستراتيجيات علمية فعالة ، وتقوم على التجريب المتأنى فى اطار نظرة محيطة تستوعب الامكانات المتاحة ، وتساعد الطالب المعلم على التلاؤم والتكليف مع التغير ، كما تعاونه على تطوير قدرته على التعلم الذاتى المستمر كى يستطيع أن يلاحق المستجدات المعرفية ، وتطوير

قدراته الأساسية (الشفوية والمعرفية والعددية والجغرافية والرمزية ٠٠ الخ)، كما أنها سوف تدرب الطالب المعلم على مهارات المستقبل وأهمها مهارة التوقع Anticipatry والتى هى فى تحليلها النهائى قدرة على مواجهة المواقف الجديدة ، وعلى رؤية الأحداث قبل وقوعها ، وعلى تقويم ما يترتب على ما يبرم من قرارات أو يتخذ من اجراءات ، واستنباط بدائل جديدة ، لما لم يكن له بدائل من قبل ٠ وكذلك مهارة التشارك Participatory وهى مهارة اجتماعية تكمل التوقع باعتباره عملية عقلية تؤدى الى فهم واضح مشترك وفعال للمشكلات وبلورة ناتج ما أبدع ، من خلال التعاون والتحاور والتعاطف والأخذ والعطاء ٠ وسيتطلب الأخذ بهاتين المهارتين افساح مجال واسع لاستخدام أساليب واقترابات حديثة وفعالة كالمقاربة البينية Interdisciplianry APP والتى تشير الى كل المجهودات المشتركة المبذولة لحل مشكلات جديدة ، والتى يترتب عليها استحداث تخصص جديد يقع نطاقه بين تخصصين آخرين أو أكثر موجودين بالفعل ٠ والى جانب ذلك هناك المقاربات المتجاوزة أو المتبادلة Trandisciplinary والتى تهتم بوحدة نظرتنا الى العالم من خلال تطوير اطار عام نقترب على أساسه من المشكلات الشبيهة بها ، وكذلك المقاربات العابرة للتخصصات Crossdisciplinary والتى توظف التخصصات المختلفة لحل مشكلات معينة ، دون أية محاولة لمزج هذه التخصصات ذاتها أو حتى أجزاء منها فى تخصصات جديدة ، كما فى الاقترابات السابقة ٠ وسوف تهتم كل هذه الاقترابات بتحقيق التكامل والوحدة ليس فقط بين التفاصيل والخصوصيات فى المناهج الدراسية ، بل لتوضيح وحدة المعرفة الانسانية فى شقيها الطبيعى والانسانى والاجتماعى ، داخل عمليات التعليم والتعلم ٠

وسوف تنتقل أساليب التقويم من مستوى الامتحانات التقليدية التى لاتقيس سوى المعارف والمستويات الدنيا من التحصيل الدراسى أى القشرة الخارجية للتعلم ، الى استخدام أساليب أخرى متعمقة تتعرف على القدرات الحقيقية العليا لنتائج التعلم وتمتد طوال فترة التعلم ، كالاختبارات التكوينية Formative Testing والاختبارات النهائية Summative Testing وغيرها من الاختبارات التى تسعى لتقديم أقرب صورة ممكنة شبه حقيقية عن امكانات الطلاب وقدراتهم الفعلية والتخطيطية والابداعية ٠

أما **بالنسبة للبحوث التربوية** فسوف تتحول تدريجيا الى اتجاهات جديدة غير مطروقة تحاول فحص الواقع التعليمى وسياساته بمنهجيات وتقنيات نقدية وتجريبية جديدة وفعالة ، كما ستستند الى مقارنات شمولية غير تخصصية ، كتلك التى أشرنا اليها من قبل ، لمحاصرة مشكلات الواقع التعليمى من خلال بحوث الفعل Action Reserchs التى يشارك فيها أساتذة كليات التربية مع زملائهم فى الوزارة ومراكز البحوث التابعة لها · كما أن هذه البحوث سوف تنحو الى معالجة مشكلات المستقبل المحتملة بدرجة أكبر من اهتمامها ببحوث الماضى ، كما سيغلب على هذه البحوث المسائل الاجتماعية أكثر من المسائل الفنية ، كما تتخلص تدريجيا من «الفسيفسائية البحثية» التى تركز على البحوث الجزئية (المصغرة) عديمة القيمة والتى لاتقدم ولاتؤخر فى البناء المعرفى للعلم التربوى ، ولاتشكل أسهاما فريدا فى حل قضايا ومسائل الواقع التعليمى ، مما يجهض أية امكانية حقيقية للاستفادة منها · كما ستقل حمى الاستهواء البحثى التى تقوم على ترديد أو استعارة القشرة الخارجية للأساليب والمناهج العلمية الحديثة دون تمحيص أو تمييز أو نظر نقدى فيها · ولعل أوضح الأمثلة على ذلك الاستخدام المتكرر لأساليب النظم والنماذج الرياضية والتقنيات المستقبلية ، دون فهم ووعى بالمخلفيات الفلسفية والاجتماعية التى تستند اليها ، ودون معرفة صحيحة لأصول تطبيقها ، بل أن الأمر يصل الى عدم الحاجة أساسا الى استخدامها·

وستشكل **ادارة الكليات** أحدى المرتكزات الأساسية لتطوير العلاقة الابداعية بين كلياتهم والمجتمع ، وسوف يقتضى هذا استبدال لا مركزية الادارة بمركزيتها تمكينا للأقسام العلمية والادارات من مباشرة دورها فى التنفيذ المبدع للسياسات والاستراتيجيات والخطط التعليمية على ازالة التسلطات الروتينية والشكلية وغيرها من السلبيات التى تعوق الانطلاقات المبدعة لهذه الأقسام · ويتم حفز أعضاء هيئات التدريس للابداع واستفزازهم علميا ، واقتراح حوافز للمبدعين منهم ، مع تجسير الفجوة بين الثقافتين داخل كل كلية (الطبيعة والانسانية) بعقد ندوات وسيمنارات مشتركة بينها على نحو مستمر ومخطط كما تتولى تمويل بحوث مشتركة بين أعضاء هيئات التدريس فى الأقسام المختلفة ، كما ستهتم الادارة بتطوير تقنيات التكنولوجيا الادارية الى مستوى يقترب من عصر المعلوماتية (حيث أن التطابق الكامل مع عصر المعلوماتية لن يتحقق الا فى ظل السيناريو التحولى) وذلك لخدمة

أغراض «تحديد الأهداف ودعمها والاعلام عنها ، ومن أجل ترشيد التقويم ، وعقلنة معاييره ، ومن أجل تحديد وتحليل الدلائل مع كل مشكلة أو متغير ، ومن أجل اتخاذ القرار المناسب والتوجيه المحكم والميزانية المبرمجة ، ومن أجل سرعة الانجاز ، وخفض الكلفة دون مساس بالفاعلية أو الوظيفية » (١) ٠

وسوف يتحول رؤساء الأقسام الى أشخاص قياديين مستنيرين يلهمون أعضاء هيئات التدريس ، ويتعاملون معهم بروح النص القانونى ووفق اجراءات بسيطة ميسرة ، خاصة عندما يتصل الأمر بالعمل العلمى والبحثى٠ كما ستشيع سبل المشورة العلمية والأكاديمية ، ويتسع هامش الحريات الأكاديمية ٠

(ج) سيناريو الأبداع :

يلعب التعليم ضمن هذا السيناريو دورا ابداعيا تقدميا يتجاوز بكثير أية أدوار تطويرية أو اصلاحية سبق الحديث عنها ٠ فأهم ما يعنيه هو تنمية الابداع التكنولوجى والمعرفى والاجتماعى ، وتعميق صلة الطالب المعلم بعصره وعروبته ودينه ، هذا الى جانب ايلاء التربية الجماعية أهمية كبيرة بحيث تكون مهمة التعليم العليا فى هذا كله هى اعداد المعلم المبدع ، والقادر على صنع مستقبله ، ومستقبل أمته والمشارك فى العطاء الانسانى العالمى ٠ وجملة تخليق «المجتمع المعلم المتعلم والمستمر فى التعلم » ، وسوف يكون المجتمع مؤهلا ديمقراطيا وداعيا لتقدير هذا الدور للتعليم ، ويوفر لمؤسسات التعليم وغيرها اطار ديمقراطى يسمح بالتعددية ، هذا الى جانب توجه جماهيرى مبدع نحو الوحدة العربية ونحو مشروع حضارى انسانى للتقدم ، وتصبح مسئولية تحقيق أهداف التعليم مسئولية مجتمعية تشارك فيها كافة التنظيمات والمؤسسات الأهلية والرسمية بغية تحرير الطاقات الشعبية واستثارة القوى الخلاقة والمبدعة الكامنة فيها من أجل تأكيد قواعد للتغيير وتحقيق التقدم ٠ ويتم هذا كله بالاعتماد على شكل للتعليم يجعله مستمرا مدى الحياة وعلى نحو يزود كل مواطن بالقدر المناسب من التعليم بما يتناسب

---

(١) محمود قمبر : نظم الادارة التربوية فى العالم العربى ، بحث فى الدورة التدريبية الاقليمية فى تخطيط الاصلاح التربوى وتحديث الادارة العربية بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٤١ ٠

مع ظروفه واحتياجاته · وعموما ، تتحول كليات التربية والمدارس من مجرد مؤسسات أو نظم الى سبل للحياة والى المستقبل والى أداة فاعلة لتحقيق المشروع الانسانى والقومى للتقدم ·

وفى ظل هذا السيناريو سوف تتحول كليات التربية من مجرد مراكز تقليدية لتخريج المعلمين الى مراكز حضارية تكون نوعا جديدا من المربيـــن يتعاملون مع الغد ومتغيراته · وستحدث تحولات جذرية فى وظائف المعلم ، يصبح بمقتضاها المعلم خبيرا بالعملية التعليمية أو مخططا لها ، وموجهـا ومنسقا للمعارف ، هذا الى جانب كونه اختصاصيا فى مجموعة من المعارف المتنوعة والمتغيرة ، كتدريس المواد ، ادارة المعامل والمكتبات ، وخبيرا فى تكنولوجيا التعليم والمعلومات ، كما سيتولى مسئولية تنظيم وتنسيق الامكانات التربوية الكامنة فى مصادر تربوية مجتمعية كوسائل الاعلام ، والأنشطة الثقافية والفنية فى المجتمع المحلى ، والمعرفة المتخصصة فى مختلف المجالات، وبذا يتقلص دور المعلم الملقن للمعلومات وكمصدر أولى للمعرفة · وسيقود هذا كله الى ارتفاع المكانة الاجتماعية للمعلم ، وارتفاع مهنة التعليم وبالتالى مكانتها المجتمعية ، والى ازدياد قوة تأثير روابط ونقابات المعلمين فى أقطار الأمة العربية ، كما تتزايد فرص هؤلاء المعلمين فى التمتع بحرياتهم الأكاديمية بشكل ملحوظ ·

وفى ضوء هذا كله سوف تنطلق المناهج التعليمية داخل هذا كله ، أكثر فأكثر من مداخل شمولية لايمكن تجنبها ، فطبقا لمبدأ «وحدة المعرفة» سوف يتدعم الاتجاه الذى ظهر فى السيناريو الاصلاحى ، وهو استخدام الاقترابات أو المداخل البينية والمتجاورة والعابرة ومايتصل بها من تخصصات ومهارات وأساليب جديدة قادرة على تطوير النظر الى الحياة والطبيعة ومشكلاتها · وفى ظل هذا الاطار الشامل سوف يكون هناك تركيز بالغ على تنمية قدرات ومهارات واتجاهات المتعلم العربى على التساؤل النقدى ، والمتملك لمهارات المنهج والتفكير العلمى ، والواعى بآليات التعامل مع المستقبل ، والمهيأ لاثراء المعارف الانسانية بابداعه الثقافى والعلمى والجمالى ، والمتمسك بهوية ذاتية مستنيرة ، ببعديها الثقافى والدينى ، والتى تعمل كاطار عام يوجه أفعاله وطموحاته ويساعده على الاختيار الأخلاقى الحر ، الى جانب زيادة وعيه

الموضوعى بذاته وبيئته ومجتمعه وقوميته ومستقبله وفق نظرة محيطة متداخلة ومتشابكة دونما تعارض ٠

وفى اطار هذه الحدود ، فان كليات التربية ستركز على توفير أساليب تدريسية وتكنولوجية فعالة لتدريب متعلميها على اكتشاف المجهول ، وتفجير الطاقات الابداعية لديهم ، كأساليب حل المشكلات ، والعصف الذهنى ، والسيناريوهات والسينكتكس Synectics وألعاب المحاكاة والخيال العلمى وغيرها ٠ والربط بين المعارف العامة والمهارات الفنية والمزاوجة بين الخبرات الشخصية والعملية والأكاديمية ٠ كذلك الاهتمام بالجوانب الوجدانية والعاطفية للطالب المعلم بما يساعده على تكوين مفهوم صحيح عن ذاته ويجنبه المرور بتشوهات عاطفية ، ويزيد قدرته على التعبير الواعى عن ذاته فى مجالات معرفية ابداعية تتجاوز كل ما يحصله من معارف وموارد دراسية، وتتيح له الاتصال الحقيقى بالعالم الذى يحياه وفق نظرة موضوعية وروحية فى آن واحد ٠

وستتيح مناهج ، ضمن هذا الشأن أيضا فرصا لتدعيم وعى المتعلمين وقدرتهم على المبادرات الذاتية والتهيؤ للمشاركات الانتاجية ، الجماعية والمجتمعية ٠

أما البحوث التربوية فسوف تنتظم بشكل عام ضمن طريقة تربوية جديدة لاعادة فحص الواقع التعليمى ضمن أولويات مختارة ، ووفق تحسب رشيد للمستقبل ومطالبه ، وسوف تكون ادارتها بفاعلية على نحو يخضعها لحسابات المردود ، هذا الى جانب قيام البحوث الأساسية المتصلة باثراء أدبيات التخصصات التربوية والنفسية المختلفة ٠ ولكن بنسبة أقل ٠

وسوف تكون هناك جسور قوية بين كليات التربية ومواقع العمل التربوى التنفيذى والتخطيطى ، فى المدارس ومراكز البحوث والوزارة ، كما سيمتد التعاون البحثى الى مواقع أخرى كمحو الأمية والتدريب واعادة التدريب والتأهيل واعادة التأهيل والتثقيف العام مع كل الوزارات والقطاعات المجتمعية ذات الصلة بقضايا التنمية البشرية بصفة عامة ٠ كما سوف تتدعم نظم المعلومات داخل الكليات على نحو يخدم البحوث العلمية بشكل مباشر وفعال ٠

فى حين أنه سيحدث تحول نوعى ملموس فى طبيعة ادارة كليات التربية تصبح بمقتضاه الادارة أداة تطوير واصلاح ، أى ادارة متوجهة للمستقبل ومتحسبه له ، فى نفس الوقت الذى تضع عيونها على الحاضر وفواعله ٠ وفى هذه الحدود فان ادارة الأقسام والكليات التربوية سوف تركز بقوة على القيادة الجماعية المستندة الى مشاركة فاعلة من جميع أعضاء هيئات التدريس والعاملين بالأقسام أو الكليات والطلاب ، كما ستستجيب الادارة للتحدى المعلوماتى بمفاهيمه وتقنياته وتسخيرها جميعا لصالح العمليات التعليمية والتدريسية وتطوير الادارة التنفيذية وتنشيط البحث العلمى التربوى ، وزيادة فعالية المعلمين والقياديين من رجال التعليم ، ورفع مستوى دورات التدريب المستمر ، والتنشيط والتأهيل التى ستتولاها الكليات بنفسها أو بالمشاركة مع الوزارة ، وتفيد منه أيضا فى خدمة الأغراض التربوية والتعليمية كخدمة الأعداد المتزايدة من الطلاب ، ونشر الثقافة التربوية لأكبر عدد من المواطنين، كما سوف يستخدم فى توفير الوقت والجهد ورفع الفاعلية والكفاية لكافة عمليات منظومات الكليات ٠

(د) السيناريو الممكن :

اذا أمعنا النظر فى السيناريوهات السابقة ، وجدنا أنه يستحيل تواجد أى منها بمفرده فى الواقع ٠ فكل سيناريو منها تتداخل بعض مشاهده مع مشاهد السيناريو الآخر ، ولايمكن أن نجد سيناريو منها يقارب الواقع الذى هو مزيج من ملامح ومشاهد كل هذه السيناريوهات الثلاث ، لذا فاننا سنحاول رسم ملامح سيناريو ممكن يستطيع أن يعتبر أساسا يمكن التخطيط لكليات التربية على أساسه ، ويتميز هذا السيناريو بكونه يقع بين السيناريو الاصلاحى والابداعى كما سبقت الاشارة ، وهذا السيناريو يعتمد على ارادة سياسية وجماهيرية للتغيير والتحول نحو الابداع الجماهيرى الذى يقود الى مشروع قومى للتعليم موظف توظيفا مضاعفا داخل خطاب النهضة المصرى والقومى، ضمن ناحية سيصبح التعليم آلية لتجلية التراث العربى واحيائه للدفاع عن الذات المصرية والعربية فى مواجهة التحديات الخارجية ، وذلك بتطوير شروط موضوعية لنقل متواتر لهوية هذا التراث وأطره ، وتأكيد خصوصيته، وتوظيف ثوابته وفواعله فى انهاض الواقع المعاش ، ومن ناحية أخرى سيصبح هذا التعليم آلية رئيسية فى تحقيق الانتساب المستمر ، للمواطن

والوطن والمستقبل بتمكينها من التكيف مع تحدياته ، ومـــن تملك الأدوات والمهارات الفاعلة لصنعه ٠

ولعل الوصول الى مثل هذا التصور سيقتضى من كليات التربية المشاركة الفاعلة فى دعم الابداع فى كافة مجالاته واهتماماته على نحو يشيعه داخل وخارج مؤسسات التعليم والتربية المختلفة ٠ وسوف تستثمر كليات التربية ضمن هذا السيناريو المدخلات والآليات التالية :

أولا : رسم سياسة للتدريب وتطوير هياكله وبرامجه :

اذ أن أية جهود حقيقية فى هذا المجال ، الذى يعتبر بحق المدخـــل الأكثر فاعلية والأسرع زمنا فى تطوير الدور الابداعى لكليات التربية ، تتوقف على توافر سياسة وطنية للتدريب تلبى الاحتياجات التدريبية للمهن المختلفة٠ ومؤسسة على تقديرات فعلية لاحتياجات التدريب على المستويين الوطنـــى والمؤسسى من حيث حجم العمالة وموقفها ومستوياتها واحتياجاتها وفى هذا الصدد سوف يتطلب الأمر ما يلى (*) :

ـ انشاء شبكة أو جهاز للمعلومات التدريبية للمهن والقطـــــاعات المختلفة داخل كل كلية تربية يسهم فى توفير صورة واقعية عن طبيعة احتياجات هذه المهن وكيفية التخطيط لتدريبها ٠

ـ توفير وكادر تدريبية مؤهلة بالحجم والمستوى المطلوب سواء مـن بين أعضاء هيئات التدريس أو كفاءات تدريبية من خارج الجامعة ٠

ـ تدعيم علاقة مراكز التدريب بالكليات بمراكز التدريب التابعة لوزارة التربية والتعليم واقامة علاقات اتصال صحيحة بينها لتنسيق المواقـــــف وتبادل البرامج والأساتذة الزائرين والفنيين وتبـــادل المطبوعات ومنـــع الازدواجية ٠

(*) اعتمدنا فى معظم الجزء التالى على أفكار سبق لنا طرحها فى دراسات سابقة منها :

ـ ضياء الدين زاهر : تخطيط برامج تدريب معلمى الكبار فى الجامعات ٠

ـ ضياء الدين زاهر : تدريب الكوادر الادارية والتدريسية لتعليم الكبار : اطار تخطيطى مقترح ٠

- الاهتمام ببحوث التدريب وتطويره على نحو يثرى حركة البحث والتحليل الدقيق المدروس لبرامج التدريب ، وبما يسهم فى تحليل مكونات المهن والوظائف كأساس لنجاح البرامج المصممة وأساليب تنفيذها وتقويمها ٠

- تنويع برامج التدريب بحيث تتعدد وفقا لطبيعة الهدف منها ٠ وفى هذا الصدد سوف تولى كليات التربية منفردة أو بالتعاون مع وزارة التربية، أهتماما ملحوظا ببرامج تدريبية كتلك الخاصة بالتأهيل والتى يمكن أن توجه الى المعلمين غير المؤهلين تربويا وأكاديميا ، وبرامج استكمال التأهيل Completion Quality Program أو التدريب الاضافى ، ويخصص لاستكمال الاعداد السريع المتخصص للمعلمين المؤهلين مما تنقصهم بعض النواحى التى تتطلبها طبيعة الأعمال التى يقومون بها ، والبرامج التجديدية Fefresher Program وتهيىء لتجديد معلومات المعلمين المؤهلين لمسايرة المناهج والتطورات الحديثة ، وبرامج التوجيه Guidance Program وتوجه للمعلمين الجدد قبل التحاقهم بالعمل التدريسى لاكسابهم المهارات التدريسية والتربوية اللازمة للاندماج فى حياتهم التعليمية والتربوية وتعريفهم بمشكلات كل من المجتمع المحلى والمدرسى ٠ كما سيكون للكليات دور رئيسى فى التخطيط وتنفيذ البرنامجين الأساسيين أولهما برنامج الترقية Promotion Program ويعد المعلمين للانتقال الى وظائف أعلى ، ويستهدف تعريفهم بمهام وظائفهم الجديدة وتدريبهم عليها ٠ وثانيها لايتصل بتدريب المعلمين بل بتدريب القادة Leadership Program وتأتى أهميته هنا فى كونه يدرب ويعد القادة التربويين والموجهين فى كافة المجالات التربوية بغية تأهيلهم كمدربين ليتولوا مهام تدريب المعلمين فى كل موضوع دراسى (١) ٠

- استعمال أساليب وتقنيات تدريبية متجددة ، دوما بما يتناسب مع تلبية احتياجات المتدربين وتنمية ابداعاتهم المهنية والشخصية ٠ ومن بين أهم هذه الأساليب والتقنيات : الاستثارة الفكرية أو العصف الذهنى ، تمثيل الأدوار Role Playing ، نماذج المحاكاة Simulation Models تآلف الاشتات Synetics ، الورش الدراسية Workshops نظرية المباريات Game Theory دراسة الحالات Case Studies ٠٠ الخ ٠

- انتقال كليات التربية (أساتذتها) لمجتمع المتدربين فى كافة المؤسسات التعليمية وعقد البرامج التدريبية فى رحابها · مع ابتكار أشكال وصيغ تدريبية أقل رسمية وأقل كلفة وأكثر كفاية فى التدريس والنتائج ، مع تشجيع انشاء برامج مهنية تدريبية قصيرة المدى وطويلة المدى بدرجات علمية وبدون درجات الى جانب برامج عاجلة للتدريب ·

- تقويم البرامج التدريبية تقويما مستمرا ، بما يفيد فى تحديد أيـــة اختلالات تصيب هذه البرامج أو تعوق انشطتها أو تجعلها متخلفة عن التقدم فى العلم الاجتماعى والتربوى وتقويم صورة واضحة عن مدى انجاز أهداف هذه البرامج · وتقدم لنا التكنولوجيا الذهنية الجديدة العديد من تقنيـــات التقويم المعدلة ·

- تطوير أساليب تحديد الاحتياجات التدريبية والحرص على تجديدها باستمرار ·

- البحث عن مصادر لتمويل البرامج التدريبية داخل كليات التربية وذلك بالاتصال بالمؤسسات المعنية ومواقع العمل المختلفة والمؤسسات الدولية ذات الاهتمام لتوفير التمويل اللازم للتدريب ، وضمان استمراريته · ويمكن التفكير بهذا الصدد فى انشاء صندوق وطنى لتمويل برامج معلمى الكبار والصغار والقيادات بالتعاون مع الجهات والهيئات المسئولة ، وبمشاركة شعبية ·

- نشر الوعى التدريبى عن طريق الاعلام والمؤتمرات واللقـــاءات والندوات ، اذ أن ثمة اعتقادا بأن عمليـة التدريب عملية سهلة وأن كـــل فرد يمكنه تدريب فرد آخر واكسابه المهارات المطلوبة ، وهذا مرجعـــه ان التدريب كعلم وفن لم يأخذ حقه من الاعلام ، كما أن نظمه وقواعده وأنواعه وأساليبه وأسس نجاحه ونتائجه الناجحة لم يعلن عنها بالقدر المناسب ·

ثانيا : التدقيق الشديد فى انتقاء الطالب المعلم فى ضوء رؤية للمتمهين التربوى الشامل :

حيث ستساعد ظروف مجتمعية كثيرة ، منها على حدوث البطالة فى عدد كبير من المهن ، فى جذب العناصر الموهوبة والمتميزة الى مهنة التعليم ، كما سيتم اعدادهم اعدادا علميا ومهنيا وسياسيا راقيا ، ينمى فيهم التفكير العلمى والنقدى والابداعى والتعاون الاجتماعى والمبادرات الفردية ، ومباشرة

دور فاعل فى السياسات التعليمية والاجتماعية بما يتناسب مع التحـــولات الجذرية فى طبيعة عمل المعلم فى مجتمع المستقبل والمسئوليات الموكولة اليه ٠

وبدهى أنه لايمكن تصور أو تحقق الاعداد الجيد لهؤلاء الطـــلاب ـ المعلمين الا فى اطار التمهين التربوى الشامل ، حيث يقوم التعليم كمهنة متكاملة تعمل داخليا على تطويرها ، واحداث تنمية ذاتية مستمرة ، شأنها فى ذلك شأن كل المهن المتقدمة كالطب والهندسة ٠ حيث يتم اعداد قلة من المهنيين الأكفاء على أعلى المستويات وبأحدث الطرق ، وتساعدهم كثـــرة مطلوبة من المعاونين المتخصصين فى مجالات العمل الثقافى والتربـــوى والادارى الاجتماعى ٠٠ وبدون ذلك فان مهنة التعليم لن تجد أبدا أحسن المربين ولن تسير قدما فى طريق النمو الذاتى ٠

ثالثا : تثوير مناهج اعداد الطالب المعلم :

ويتم هذا التثوير للمفاهيم على نحو يجعلها ـ هدفا ومضمونا وطريقة وتقويما ، سبيلا نحو الارتفاع الفعلى بقدرات ومهارات الطالب المعلم ، وزيادة انفتاحه على العالم وثقافاته ، وتدريبه على التعامل الذكى مع الثـــورة المعلوماتية ومنجزاتها مع تبصيره بآثارها الاجتماعية وتطبيقاتها ، وفتـح فرص التعلم المستمر مدى الحياة أمامه ٠ وفى هذا الخصوص سوف يتم التركيز على (١) :

ـ تطويع التطور التكنولوجى لخدمة الأهداف التعليمية ٠ وادماج المعلوماتية والبرمجيات فى عملية التعليم وأدواتها ٠

ـ التوسع فى استخدام استراتيجيات تدريسية فاعلة ، كالتعلم الذاتى (فيديو ـ افلام ـ تسجيلات صوتيه ٠٠ الخ) ، والتعلم بالتمكن ، والتعـــلم بحل المشكلات ، والتدريس المصغر Micro Teaching ، وتحليل التفاعل، وتنمية الابداع ، والتعلم من بعد ، وأسلوب الوحدات التدريسية الـــذاتى Modalas وفقا لمتطلبات المواقف التعليمية ٠ على أن تكون مثل هـــذه الاستراتيجيات وسيلة ليس فقط لخلق أجيال مبادرة متفتحة للتغير وقادرة

---

(١) أنظر : ضياء الدين زاهر : كيف تفكر النخبة العربية فى تعليم المســتقبل (عمان : منتدى الفكر العربى ، ١٩٩٠) ٠

على صناعته ، بل أيضا تعميق علاقة عضو هيئة التدريس بالطالب - المعلم وتوطيدها على نحو ييسر الابداع باعتبار مثل هذه العلاقة عنصرا حاكما فى توفير المناخ المناسب لتنمية الابداع ٠

- تقليل الاهتمام البالغ بالجوانب النظرية فى المناهج الأكاديمية ، والتركيز على الجوانب العملية والتطبيقات وربط الطالب المعلم بالواقع التعليمى المعاشى ٠

- تجريب وتطبيق البحوث والدراسات العلمية والنفسية فى مدارس تجريبية قبل تصميمها مع تطوير برامج التربية العملية وتجديد أساليبها والعناية بها بما يتكافأ مع أهميتها فى برنامج اعداد المعلم ٠

- تغيير جذرى فى نظم الامتحانات ، حتى تصبح معيارا للمعلومات والقدرات فى آن واحد ، وحتى لا تظل الاداة السحرية الوحيدة للمعلم لأرهاب تلاميذه وتقييمهم ٠

- تعميق التربية الفنية والجسدية والأخلاقية فى مناهج اعداد المعلم ، على نحو يحولها الى انشطة وممارسات أكثر منها مجرد معلومات ٠

- انشاء مراكز للتقنيات التربوية موزعة على كل كليات التربية ٠

- توجيه برامج اعداد المعلم للتمركز حول الاداء Performance أو الكفاية Competency بما يسهل من عمليات قياس عائدها ومردودها ٠

رابعا : تطوير أساليب ادارة كليات التربية وأقسامها :

وهذه ستكون الآلية الأساسية فى تنمية الابداع باعتبار الادارة هى المحرك الأساسى لهذه العملية ، فالادارة الواعية للكلية ولأقسامها سوف تحرص على تغيير كافة العوامل البنائية للبرامج الأكاديمية وتوفر الشروط البيئية المحرضة على النشاط الأبداعى وظهور المبدعين سواء من الطلاب أو أعضاء هيئات التدريس ٠

- وفى هذا الصدد سوف تعكف الادارة ضمن هذا السيناريو على تجسير الفجوة بين التخصصات والأقسام المختلفة بما يدعم ويخصب حركة التبادل العلمى والبحثى بين أعضاء هيئات التدريس داخل الكلية ، وبما يكفل

احداث تصالح دائم بين الثقافتين · وسوف يكون من المهم لادارة الكلية دعوة جميع أعضاء هيئات التدريس مرة على الأقل كل عام جامعى فى سياق المؤتمر العلمى للكلية لتدارس ومناقشة كافة شئون التعليم والبحث العلمى فى الكلية ، وتقييم موضوعى للنظم المقررة فى شأنها ومراجعتها وتجديدها بما يحقق انطلاقها لملاحقة التقدم العلمى والتعليمى ومطالب المجتمع وحاجاته المتطورة ·

كما يدعو رؤساء الأقسام الى المؤتمر العلمى لاقسامها مرتين على الأقل كل عام لمناقشة نفس القضايا ولكن على مستوى القسم (١) ·

- توفير الحوافز المادية والمعنوية القوية للابداع العلمى للواعدين والمبدعين من الطلاب ومن هيئات التدريس والاحتفاء بهم ، وتوفير المناخ الملائم لهم ، كما تتم اشاعة روح الديمقراطية بين كافة أعضاء المجتمع الأكاديمى داخل الكلية ·

- حفز أعضاء هيئات التدريس على التحاور مع الطلاب والاقتراب منهم وتفهم مشكلاتهم بقدر كبير من الجدية ، مع مساعدتهم على تنمية أمكاناتهم النقدية وتفجير طاقاتهم الابداعية · على أن يتم تخصيص أوقات محددة من جانب أعضاء التدريس للالتقاء بالطلاب من خلال ما يعرف بالساعات المكتبية ·

- تجسير الفجوة بين الكلية والوزارة بتشكيل صيغة شبه رسمية «كوحدة خاصة» من وحدات الجامعة لتبادل الرأى والمشورة حول كيفية تنشيط وتنمية الابداع لدى العاملين فى الحقل التعليمى ، ووضع خبرات الكلية فى تقديم المشورة الفنية فى هذا الصدد سواء بالنسبة لرسم السياسات والاستراتيجيات والخطط أو بالنسبة لاعداد المناهج على نحو يستثير الابداع لدى التلاميذ أو بالنسبة لاستخدام التقنيات الحديثة فى تطوير أداء المؤسسات التربوية فى كافة مجالاتها واهتماماتها · ويمكن لهذه الوحدة الخاصة أن تتسع لتقدم المعاونة والمشورة لكافة الكليات والجامعات فى ميدان تنمية الابداع بكافة صوره ·

---

(١) انظر : قانون تنظيم الجامعات ، ط ٣ ، ١٩٨٧ ، صص ١٤ ، ٢٧ - ٢٨ ·

- تعبئة وحشد كل الطاقات والامكانات بالكليات لخدمة هدف تنمية الأبداع والدعوة لعقد الندوات والمؤتمرات التى تروج لهذا الهدف وتخاطب كافة الجهات المعنية عن طريق التسويق الثقافى لها ، واستخدام وسائل الاتصال (خاصة الصحف والتليفزيون) فى مخاطبة الجماهير وضمان حماستها لهذا المشروع القومى ، هذا الى جانب العمل على تبنى العام القادم مثلا ، **كعام للابداع** ٠

خامسا : البحوث والدراسات العليا :

- العمل على دعم مراكز البحوث التابعة للكليات (تطوير التعليم الجامعى ، تطوير اللغات ، الصحة النفسية ٠٠ الخ) والتنسيق بينها وبين الوحدة الخاصة المقترحة لتنمية الأبداع ٠

- اقتراح جوائز للامتياز تمنح كل عام للمبدعين من شباب أعضاء هيئات التدريس مع اقتراح جائزة سنوية تمنح لأحسن بحث تطبيقى يستهدف تطوير الأداء التعليمى فى الكلية وآخر فى المؤسسات التعليمية الآخرى خاصة الدارس ولأحسن بحث جماعى يشترك فيه بحاث من أقسام مختلفة ٠ دعما للابداع الجماعى ٠

- أفساح المجال لمزيد من الدراسات المتبادلة والمتداخلة والمتشابكة فى برامج الدراسات العليا ، وذلك من أجل تخليق فرص بحوث متكاملة تنهض بمهام علمية واجتماعية كبرى ، وتسعى نحو حل الكثير من المشكلات التى تعجز عنها البحوث الفردية ٠

- تطوير ادارة الدراسات العليا بالكلية وشئون العاملين ، على نحو يحولها الى مراكز معلومات معدة بشكل يسهم فى وضع حركة الدراسات العليا وذلك باستخدام جهاز فنى مؤهل قادر على التعامل مع المعلومات وعلى توظيفها لخدمة البحث العلمى بالكلية والمجتمع ٠